محاضـــــرات الفصـــــل الثـــــــاني لمقياس انتربولوجيـــــا ثقافيـــــة واجتمـــــاعية

المحاضرة الأولى: مناهج البحث في الانتربولوجيا الثقافية

مناهج الأنثروبولوجيا الثقافية:

تطور منهج البحث الأنتروبولوجي عبر مرحلتين رئيسيتين هما: المرحلة المكتبية والمرحلة الحقلية. والمرحة المكتبية بدأت ببداية الأنثروبولوجيا الثقافية في عشرينيات القرن التاسع عشر، حيث كان العلماء يعتمدون في جمع المعلومات على طرق غير مباشرة وعلى مصادر ثانوية، فقد كانوا يجلسون في مقاعدهم الوثيرة في مكاتبهم في أوروبا وأمريكيا، ويرسلون في طلب المعلومات إما من المكتبات أو من الرحالة والمبشرين ورجال الاستعمار الغربي في المستعمرات التي كانوا يديرونها، لذا عرفت الأنثروبولوجيا الثقافية في هذه الفترة بأنثروبولوجيا المقاعد الوثيرة. وقد تمخضت عن هذه الطريقة في جمع البيانات عن المجتمعات البدائية الصغيرة معلومات في معظمها متحيزة وعشوائية وسطحية، فقد جمعت هذه المعلومات بواسطة مجموعات لم تنل قسطا من الإعداد النظري الذي يوجه الباحث في حقل البحث.

ونسبة إلى هذه السلبيات التي ارتبطت بهذه الطريقة البحثية، فقد اتجه الأنثروبولوجيون منذ مطلع القرن العشرين إلى اعتماد طريقة جديدة في البحث الأنثروبولوجي انتقلت بالمنهج الأنثروبولوجي من المرحلة المكتبية إلى المرحلة الميدانية التي تقوم على طريقة العمل الحقلي. ولقد وضع أسس هذه الطريقة رواد الأنثروبولوجيا الثقافية الحديثة، أمثال "مالينوفسكي" الذي قام بدراسة جزر **"التروبرياند"** عام 1914، و**"راد كليف براون"** الذي قام بدراسة جزر **"الأندمان"** عام 1906، و"إيفانز بريتشارد" الذي درس قبائل **"الزاندي"** و**"النوير"** و**"الدينكا"** في العشرينيات والثلاثينيات ، و**"سلجمان"** الذي درس قبائل جنوب السودان عام 1909 .

ويقوم العمل الحقلي على أساس التوجه للعيش المباشر بين المجتمع الذي يراد دراسته لفترة طويلة تمتد بين عام وعامين، والقيام بجمع المعلومات بطريقة مباشرة من أهالي المجتمع، فالباحث يقيم بينهم، ويتعلم لغتهم ويشاركهم جميع أنشطتهم، ومن أهم المعلومات بالنسبة للباحث الحقلي ما يلي:

* **الملاحظة بالمشاركة:** أي ملاحظة سلوك الأهالي أثناء اشتراك الباحث في الأنشطة الاجتماعية المختلفة التي يؤدونها. ويعتمد هذا المنهج البحثي على قبول الباحث من طرف أولئك المراد دراستهم، واعتماده كأنه واحد منهم، مما يتيح له الرؤية من الداخل. كما يحاول الباحث أن يتقمص شخصية الفرد في المجتمع الذي يبحثه، وأن ينظر إلى الأشياء بالطريقة التي ينظر بها أهالي المجتمع نفسهم لهذه الأشياء.

* **المخبرون:** من أهم مصادر البحث الحقلي المخبرون، وهم عادة كبار السن أو العارفين في المجموعة التي يراد دراستها، ويستفاد من أقوال المخبرين في التالي:

- التأكد من المعلومات التي حصل عليها الباحث بواسطة الملاحظة.

- أخذ معلومات لا يمكنه شخصيا الحصول عليها كالمعلومات عن العلاقة بين الجنسين في المجتمعات المحافظة مثلا.

- أخذ معلومات عن الماضي أو عن أشياء لا تحدث إلاّ نادرا، وقد لا يتمكن الباحث من حضورها.

* **الطريقة الجينالوجية:** وهي طريقة جمع المعلومات بواسطة سلاسل النسب والقرابة، أو ما يعرف بأشجار النسب، وهي طريقة تجمع بواسطتها معلومات عن القرابة والزواج والسكان وخصائصهم الاجتماعية المختلفة، كما يمكن أن تكون مصدرا لشتى أنواع المعلومات الاجتماعية حسب طريقة استخدام الباحث لها.

* **عناصر الثقافة المادية وغير المادية:** ويشير هذا المصدر إلى تجميع عناصر الثقافة المادية كأعمال الفنون اليدوية والأدوات وغيرها، والعناصر غير المادية كالشعر والأمثال والأساطير والألغاز وغيرها. وتعتبر كل هذه العناصر من أهم مصادر المعلومات بالنسبة للباحث الحقلي.

* **التعداد الأسري:** لقد أصبح التعداد الأسري الذي يشمل أفراد الأسرة ونوعهم وعملهم وعلاقتهم وخصائصهم الاجتماعية الأخرى من أهم عناصر البحث الحقلي، كما يتضمن التعداد الأسري أحيانا معلومات عن ميزانية الأسرة دخلها وصرفها، وقد يشمل أيضا معلومات عن الأسرة كوحدة إنتاجية: كيفية تنظيم العمل وتقسيمه وتوزيع الوقت بين جوانب العمل المختلفة.

* **الوثائق والنصوص:** الوثائق متى وجدت تعتبر مصدرا هاما بالنسبة للباحث الأنثروبولوجي، والنصوص تعني ما يكتبه الأهالي أنفسهم عن مواضيع يطلب الباحث رأيهم فيها أو إعطاء معلومات عنها.